

تفسير ابن كثير

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

وقوله : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) أي : تنزيهه وتقديسه وتبرئته

من سوء للحي القيوم ، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ،

وله الخلق والأمر ، وإليه ترجع العباد يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله ، وهو العادل

المتفضل . ومعنى قوله : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) كقوله عز وجل : (قل

من بيده ملكوت كل شيء) [المؤمنون : 88] ، وكقوله تعالى : (تبارك الذي بيده

الملك) [الملك : 1] ، فالملك والملكوت واحد في المعنى ، كرحمة ورحموت ،

ورهبة ورهبوت ، وجبر وجبروت . ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجساد

والملكوت هو عالم الأرواح ، والأول هو الصحيح ، وهو الذي عليه الجمهور من

المفسرين وغيرهم . قال الإمام أحمد : حدثنا حماد ، عن عبد الملك بن عمير ، حدثني

ابن عم لحذيفة ، عن حذيفة - وهو ابن اليمان - رضي الله عنه ، قال : قمت مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقرأ السبع الطول في سبع ركعات ، وكان إذا رفع

رأسه من الركوع قال : " سمع الله لمن حمده " . ثم قال : " الحمد لذي ذي الملكوت
والجبروت والكبرياء والعظمة " وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأنصرف
وقد كادت تنكسر رجلاي . وقد روى أبو داود ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي ، من
حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة - مولى الأنصار - عن رجل من بني
عبس ، عن حذيفة ؛ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ، وكان يقول : "
الله أكبر - ثلاثا - ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة " . ثم استفتح فقرأ البقرة ،
ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه ، وكان يقول في ركوعه : " سبحان ربي العظيم " .
ثم رفع رأسه من الركوع ، فكان قيامه نحواً من [ركوعه ، يقول : " لربي الحمد " . ثم
سجد ، فكان سجوده نحواً من [قيامه ، وكان يقول في سجوده : " سبحان ربي الأعلى "
ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدين نحواً من سجوده ، وكان يقول
: " رب ، اغفر لي ، رب اغفر لي " . فصلى أربع ركعات ، فقرأ فيهن البقرة ، وآل عمران
، والنساء ، والمائدة - أو الأنعام شك شعبة - هذا لفظ أبي داود . وقال النسائي : " أبو
حمزة عندنا : طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة " . كذا قال . والأشبه أن

يكون ابن عم حذيفة ، كما تقدم في رواية الإمام أحمد ، [والله أعلم] . فأما رواية صلة بن زفر ، عن حذيفة ، فإنها في صحيح مسلم ، ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عمرو بن قيس ، عن عاصم بن حميد ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ . قال : ثم ركع بقدر قيامه ، يقول في ركوعه : " سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة " . ثم سجد بقدر قيامه ، ثم قال في سجوده مثل ذلك ، ثم قام فقرأ بآل عمران ، ثم قرأ سورة سورة . ورواه الترمذي في الشمائل ، والنسائي ، من حديث معاوية بن صالح ، به . [آخر تفسير سورة " يس " والله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً] .